الفصل الثاني

شخصية المولى خضر بيك وحياته

المبحث الأول

اسمه لقبه نسبته شهرته

اتفقت كتب التراجم التي تيسر لي الاطلاع عليها والتي تعرضت لترجمة الإمام علي أن اسمه خضر بن جلال الدين[١] وكان يلقب بجراب العلم[٢] وخير الدين .[٣]

وينسب إلى الروم فيقال «الرومي»[٤] . وهذه النسبة ــ «الرومي» ــ قد اشتهر بها كثير من علماء الأتراك ، ويرجع هذا الأمر إلى أن الملك السلجوقي ألب أرسلان لما انتصر على الإمبراطور الروماني في موقعة «مناذرجر» سنة ١٠٧٠م توغل المسلمون في بلاد الأناضول واشتهروا في هذه البلاد بالروم السلاجقة[٥] . كما أنه ينسب أيضا إلى مذهبه في الأصول فيقال له «الماتريدي»[٦] وإلى مذهبه في الفروع فيقال له «الحنفي»[٧] .

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي: ٧٠ ، الضوء اللامع للسخاوي:١٧٨/٣ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٣٤٨ ، الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده : ٥٥ - ٥٨ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٦٧٠/١ ، ٦٧١ ، الأعلام للزركلي: ٣٠٦/٢ ، هدية العارفين للبغدادي: ٣٤٦/١ .

(٢) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٥٦ .

(٣) الضوء اللامع للسخاوي: ٣ /١٧٨ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:٦٧٠/١ ، ٦٧١ .

(٤) الضوء اللامع: ١٧٨/٣ ، معجم المؤلفين:٦٧٠/١ ، ٦٧١ ، الأعلام للزركلي:٣٠٦/٢ .

(٥) مقدمة كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور لتحقيقهما لكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبرى زاده : ١٨ وانظر أيضا في إطلاق كلمة الروم على الأتراك كتاب إستانبول وحضارة الخلافة الإسلامية لبرنارد لويس مع تعليق المترجم د . سيد رضوان على: ٣١ - ٣٣ .

(٦) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

(٧) الضوء اللامع للسخاوي : ١٧٨/٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:٦٧٠/١ ، ٦٧١ ، الأعلام للزركلي : ٣٠٦/٢ .

هذا وإن صاحب الترجمة قد اشتهر باسم «خضر بيك» أو «خضر بك» أكثر من أي اسم أو لقب حتى اختاره معظم المترجمين عنوانا على الترجمة حينما ترجموا له في كتبهم ، إلا صاحب معجم المؤلفين حيث اختار لترجمته له عنوان «خضر الرومي» ولم يذكر أثناء ترجمته هذا الاسم المعروف «خضر بك»ـ وإن لم يختره عنوانا ـ ولم يشر إليه أيضا وهذا صنيع قد انفرد به فيما أعلم[1] .

* * *

المبحث الثاني

مولده ونشأته

لقد كانت ولادة المولى «خضر بيك» و نشأته في بلدة سوريحصار من بلاد الروم[2] وفي مستهل شهر ربيع الأول عام ٨١٠ هـ[3] الموافق لـ٦ سبتمبر ١٤٠٧م[4].

ونشأ في بلدته التي ولد بها وتربى في بيت من بيوت العلم والقضاء حيث كان والده قاضيا ببلدة سوريحصار[5] ، وكان من أعيان عصره . وقرأ عليه المولى «خضر بيك» مبادئ العلوم ثم واصل دراسته على المولى الفاضل محمد بن أدمغان

---

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٦٧٠/١ ، وقارنه بالمراجع المذكورة .

(٢) الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده : ٥٥ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي :٧٠، الأعلام للزركلي : ٣٠٦/٢، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

(٣) الضوء اللامع للسخاوي : ١٧٨/٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٨/٧، الأعلام للزركلي:٣٠٦/٢، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة :٦٧٠/١، ٦٧١ ، هدية العارفين للبغدادي : ٣٤٦/١ .

(٤) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٨/٧ .

(٥) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده : ٥٥، الضوء اللامع للسخاوي : ١٧٨/٣، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

الشهيربيكان[1] من تلامذة العلامة شمس الدين محمد بن حمزة الفناري وقرأ عنده العلوم العقلية والنقلية وسائر العلوم المتداولة وتخرج عنده وبلغ رتبة الكمال وتزوج بنته[2].

وكان للمولى اهتمام خاص بدراسة علوم اللغة العربية ، حتى صار متمكنا منها عامة وذا باع ممتد في النظم[3] خاصة ، ويذكر له المؤرخون عدة قصائد في موضوعات مختلفة . ومن مساجلات شعرية رائعة ما جرت بينه وبين الشيخ الإمام شمس الدين محمد الجزري الشافعي[4] صاحب كتاب «النشر في القرءات العشر» ونقلها لنا مؤرخ علماء الدولة العثمانية الكبير العلامة طاش كبرى زاده حيث يقول: «إن المولى خضر بك أرسل إلى الشيخ الجزري نظما وهو هذا :

لو كان في بابه للنظم مفخـــرة ألفت في مدحه ألفا من الكتـــب
لكنه البحر في كل الفنون فمـــا إهداء در إلى بحـــر مـــن الأدب

فأرسل إليه الشيخ جوابا لنظمه وهو هذا :

في در نظمك بحر الفضـــل ذو لجـــب ودر نظمك عقـــد في طلـــي الأدب
الـــدرفي البحـــر معهـــود تكونـــــه والبحر في الدر يبدي غاية العجب»[5]

---

(١) قد ترجم له في الشقائق النعمانية : ٤٨ ، ٤٩ .

(٢) انظر المرجع السابق : ٥٥ .

(٣) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي :٧٠ .

(٤) هو شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي الأشعري المعروف بابن الجزري ـ نسبة لجزيرة ابن عمر ، ولد بدمشق في ٢٥ رمضان عام ٧٥١ هـ/١٣٥٠م ، وتوفى بشيراز في ٥ ربيع الأول عام ٨٣٣ هـ/١٤٢٩م ، وكانت جنازته مشهودة تبادر الأشراف والخواص إلى حملها وتقبيلها ومسها تبركا بها ومن لم يمكنه الوصول إلى ذلك كان يتبرك بمن يتبرك بها . كان مقرئا مجودا محدثا مفسرا مؤرخا فقيها نحويا بيانيا ناظما صاحب مؤلفات كثيرة مفيدة ، من أشهرها النشر في القراءآت العشر . انظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي: ٢٥٥/٩-٢٦٠، الشقائق النعمانية : ٢٥-٣٠، شذرات الذهب لابن العماد : ٢٠٤/٧-٢٠٦، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٦٨٧/٣ .

(٥) الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده : ٢٨ ، ٢٩ .

كما كان ماهرا أيضا في النظم باللغة الفارسية والتركية[1] ، وبراعته في النظم مما لا يحتاج إلى دليل فها هي قصيدته النونية ، مع وجازتها تشتمل على «مافي الكتب الضخام من علماء الكلام» كما وصفها مؤرخ البلاد الهندية أبو الحسنات اللكنوي[2] ويقول عنها الشيخ عثمان الكليسي أحد شراح هذه القصيدة : «إن هذه القصيدة فصيحة غاية الفصاحة غير خارجة عن قانون علم العروض»[3] .

وأما العلوم العقلية فقد كان علما من أعلامها وفارسا من فرسانها ، وقد أوتي حظا وافرا في شتى فروع العلم والمعرفة، وحصل على العلوم الغريبة والفنون النادرة. وكان محبا للعلم شديد الطلب له ، وصرف أوقاته للاشتغال بالعلم والعبادة ، وكان يوصف بسرعة الفهم وكثرة الحفظ وكل هذا مكنه من تحصيل علوم وفنون لاتحصى، حتى قيل إنه لم يكن بعد المولى «الفناري» رحمه الله من اطلع على العلوم الغريبة مثل المولى خضر بيك[4] .

ومما يدل على ما ذكرنا ما يحكي لنا كل من «طاش كبري زاده» و«أبو الحسنات اللكنوي» ويشير إليه «بروكلمان» من قصة طريفة ؛ وهي أنه جاء من بلاد العرب في أوائل سلطنة السلطان الفاتح «محمد خان» رجل كثير الاطلاع على العلوم الغريبة واجتمع مع علماء الروم عند السلطان فسألهم عن مسائل من العلوم الغريبة التي لم يكن لهم اطلاع عليها فانقطع الكل وعجزوا عن الجواب فاضطرب السلطان اضطرابا شديدا وحصل له عار عظيم من ذلك ، فطلب رجلا من أهل العلم له اطلاع على العلوم الغريبة فذكر عنده المولى «خضر بيك» وكان شابا سنه في عشر الثلاثين[5] ، وكان زيه على زي عسكر السلطان . فأحضروه عند

---

(١) الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده : ٥٧ .

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي : ٧٠ .

(٣) شرح الشيخ عثمان الكليسي المسمى بـ«خير القلائد شرح جواهر العقائد»: ٤ .

(٤) الشقائق النعمانية:٥٦ .

(٥) لايمكن الموافقة على هذا في ضوء الواقع التاريخي حيث كان مولده عام ٨١٠ هـ ، وجلوس السلطان على العرش عام ٨٥٥ هـ ،فيكون المولى في عشر الأربعين لا في عشر الثلاثين كما قال طاش كبرى زاده وتابعه على ذلك أبوالحسنات اللكنوي .

السلطان مع الرجل المذكور ، فضحك الرجل مستحقرا للمولى لشبابه وزيه ، فقال له المولى خضر بيك هات ما عندك ، فأورد عليه الرجل أسئلة من علوم شتى ، وكان المولى عارفا بجميعها ، فأجاب عن أسئلته بأحسن الأجوبة . ثم سأل المولى « خضر بيك » الرجل عن مسائل ستة عشر فنا لم يطلع عليها ذلك الرجل حتى انقطع الرجل وأفحم .

فطرب السلطان لذلك حتى قام وقعد لشدة طربه وأثنى على المولى خضر بيك ثناء جميلا وأعطاه مدرسة جده السلطان محمد خان الأول بمدينة « بروسا » فصار مدرسا بها[1] .

وكان ذا قدم في علوم القرآن أيضا ومما يدل على ذلك اشتغاله بتفسير « الزمخشري » المعروف بالكشاف وحاشية العلامة « سعد الدين التفتازاني » على هذا التفسير وفيهما الكفاية للتعرف على أسرار الوحي الإلهي والكلام الرباني وقد كتب المولى « خضر بيك » « حواش على حاشية الكشاف للتفتازاني » كما يذكر لنا المترجمون[2] .

هذا بدوره يدل على تمكنه من علم اللغة ــ من نحو وصرف وبلاغة وبيان ــ وعلم الكلام ــ المعتزلي والأشعري خاصة ــ أيضا حيث إن شأن الكشاف معروف لدى العلماء وحين ينضم إليه المحقق التفتازاني بعبقريته الفذة في مجال العلوم العقلية والنقلية يكون الموقف عظيم الخطر جليل الخطب .

ولم يكن المولى خضر بيك متخصصا في هذه العلوم فقط بل كان متمكنا من الفقه أيضا ، ومما يدل على تفوقه فيه أيضا على جميع أقرانه أنه كان قاضيا

---

(١) الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده:٥٦ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي :٧٠ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٨/٧ .

(٢) الضوء اللامع للسخاوي : ١٧٨/٣، معجم المؤلفين لكحالة : ٦٧٠/١، ٦٧١، الأعلام للزركلي:٣٠٦/٢ .

لقسطنطينية وهو أول من ولي قضاءها بعد فتحها[1] على يد السلطان الفاتح «محمد الثاني» وهذا يدل دلالة قاطعة على أنه كان ذا منـزلة عالية عند السلطان الفاتح وتكون هذه التولية في حدود عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣ م حيث تم هذا الفتح المبين للأمة الإسلامية على يد القائد المجاهد «محمد الفاتح» رحمه الله . وكان هذا الفتح مفترق طرق ليس في حياة الأمة الإسلامية فحسب بل في أحداث التاريخ العالمي بصفة عامة حتى اختاره المؤرخون علامة فارقة بين عصرين كبيرين من أدوار التاريخ الإنساني ـ هما العصر الوسيط والعصر الحديث .

ويلاحظ أيضا أنه كان ناجحا فيما أسند إليه من أمر القضاء حيث استمر في هذا المنصب الخطير إلى أن أدركته المنية حيث لم يذكر أي مصدر من مصادر ترجمته ـ فيما أعلم ـ أنه عزل عن هذا المنصب ، بل الذي يذكر لنا المصادر أنه كان قاضيا بها إلى أن توفى[2] ، وهذا شيء يعرف من له اطلاع على تاريخ القضاة أنه قلما يحدث له نظير في التاريخ .

وخلاصة القول في تكوينه العلمي أنه تخرج في الفقه والأصول والكلام والأدب واللغة والمنطق والحكمة على الأسلوب الأعجمي الذي يجمع بين العلوم المختلفة بالترقي في درجاتها المتقابلة وتحقيق بعضها ببعض تحقيقا يهدف إلى تحصيل الملكة العلمية العامة .

وكما أنه جد في طلب العلم واجتهد في تحصيله حتى صار محبوبا ومقربا إلى أستاذه المولى الفاضل «يكان» وتزوج بنته[3] و«بلغ عنده رتبة الكمال» على حد تعبيرأبى الحسنات اللكنوى[4] واصل جهوده في مجال التعليم والتدريس أيضا ، وهكذا تخرج على يديه العديد من عباقرة عصره .

---

(١) الشقائق النعمانية :٥٦، ٥٧، الفوائد البهية : ٧٠، تاريخ الأدب العربي : ٣٧٨/٧ الأعلام : ٣٠٦/٢.

(٢) الشقائق النعمانية : ٥٧ ، ٧١ ، تاريخ الأدب العربي: ٣٧٨/٧ .

(٣) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٥٥ .

(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي: ٧٠ .

وكان مدرسا في بلدة سوريحصار في سنة ٨٣٧ هـ على ما يقول أبو الحسنات اللكنوى[١] وعمره إذ ذاك سبع وعشرون سنة ، والمعروف أن فتح القسطنطينية كان في عام ٨٥٧ هـ . وهذا يعني أنه قد بدأ في التدريس قبل منصب القضاء بعشرين عاما . وكان عمره عند توليه قضاء «قسطنطينية» سبعا وأربعين عاما .

ثم حدثت تلك القصة الطريفة التي نقلناها سابقا وكانت هذه المناظرة الحاسمة إيذانا بعلو قدره وسلما لترقيه ونقطة تحول في حياته حيث تغلب على خصمه بحضرة السلطان «محمد الفاتح» وفاز فوزا ساحقا حتى قام السلطان وقعد لشدة طربه وأثنى على المولى «خضر بيك» ثناء جميلا وأعطاه مدرسة جده السلطان «محمد خان الأول» بمدينة بروسة (بورصة في التركية) فصار مدرسا بها[٢] .

وتتلمذ عليه ــ في هذه الفترة ــ الفضلاء من الطلبة أمثال المولى «مصلح الدين القسطلاني» والمولى «علي العربي» وخصص له ــ في هذه الفترة ــ من تلامذته نائبين أحدهما المولى «مصلح الدين» الشهير بـ«خواجه زاده» والآخر المولى «شمس الدين أحمد بن موسى» الشهير بـ«الخيالي»[٣] .

ثم صار مدرسا بمدرسة «يلدرم خان» بـ«بروسا» ثم تولى منصب القاضي في «عينكول» وولي تدريس الجامع الكبير بمدينة «أدرنة» (Adrianople) ثم تولى منصب القضاء بـ«ينولي» ثم تولى قضاء «قسطنطينية» حتى توفى وهو قاض بها[٤] .

وهناك إشارة عابرة انفرد العلامة «السخاوي» بها في كتابه «الضوء اللامع» جاء فيها: أن «خضر بيك» قد قدم إلى «مكة» في سنة تسع وخمسين ــ يعني تسعا

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية لأبي الحسنات اللكنوي: ٧٠ .

(٢) الشقائق النعمانية :٥٦ ، الفوائد البهية:٧٠ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

(٣) الشقائق النعمانية :٥٦ ، ٧٦ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٣ .

(٤) المرجع السابق: ٥٦ ، ٥٧ ، الضوء اللامع للسخاوي: ١٧٨/٣ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

وخمسين وثمانمائة ـ فلقيه «ابن عزم المغربي» واستفاد منه أشياء ، وقال إنه مات سنة ستين [1] . ـ يعني ستين وثمانمائة .

وفي حالة صدق هذه الرواية ـ والله أعلم ـ يحتمل أن يكون هناك عدة لقاءات بين صاحبنا وغيره من العلماء المجتمعين بالبلد الحرام على عادة العلماء السابقين ويكون لها أثر في كلا الجانبين ، ولكننا عاجزون عن الحديث عن هذا أكثر من هذا القدر حيث لم تمدنا المراجع بشيء عن رحلة المولى خضر بك إلى مكة المكرمة وإقامته هناك ، ولم نتأكد أيضا من شخصية «ابن عزم» الوارد ذكره في حكاية السخاوي [2] .

هذه هي أبرز معالم حياة المولى خضر بن جلال الدين رحمه الله وما زالت تفاصيل حياته الحافلة بالإبداع والعطاء تحتاج إلى مزيد بحث ودراسة ولعل هناك جانبا مغمورا لم يكتشف بعد من أدوار هذه الحياة المباركة ، وكل الذي سبق مني عرضه هو مما أسعفتني به المراجع المتوفرة لدي ولا أدعي فيه الكمال أو الشمول .

* * *

(١) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي: ١٧٨/٣ .

(٢) كل ما وجدته بعد البحث - في المراجع المتوفرة لدي - عن شخص يعرف بـ«ابن عزم» هو أنه أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن أحمد بن عزم التميمي التونسي ثم المكي المالكي ، كان مؤرخا . ولد بتونس عام ٨١٦ هـ/١٤١٤م . وتنقل في بعض بلدان المشرق ، وجاور مكة المكرمة وتوفي بها عام ٨٩١ هـ/١٤٨٦ م . من آثاره دستور الأعلام بمعارف الأعلام في تراجم العلماء . ويحتمل أن يكون ابن عزم المذكور في الضوء اللامع هو هذا ؛ حيث إنه جاور مكة وتنقل في بعض بلدان المشرق وتاريخ حياته أيضا يسمح له بمعاصرة المولى خضر بك . والله أعلم . انظر في ترجمته الضوء اللامع : ٢٥٥/٨ ، ٢٥٦ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ٧٥٣ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٧٠/٧ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٥٦٥/٣ .

المبحث الثالث

أساتذته

١- إن أول أستاذ لخضر بيك كان والده القاضي « جلال الدين بن صدر الدين ابن حاجي إبراهيم» . وقيل كذلك في نسبه أنه « جلال الدين بن أحمد باشا »[١] ويمكن أن يكون صدر الدين هو لقبا لأحمد باشا ، فاختار البعض اللقب حينما اختار الآخر الاسم . وكان « جلال الدين » قاضيا ببلدة « سوريحصار » ، وتتلمذ عليه المولى « خضر بيك » وقرأ عليه مباني العلوم[٢] .

٢- ثم تتلمذ على المولى الفاضل « محمد بن أدمغان » الشهير بـ« يكان » وقرأ عنده العلوم العقلية والنقلية وسائر العلوم المتداولة وتخرج عنده[٣] وبلغ عنده رتبة الكمال[٤] وتزوج بنته وحصل له منها أولاد ؛ وهم المولى « سنان الدين يوسف ابن خضر بيك »[٥] و المولى « يعقوب باشا بن خضر بيك »[٦] والمولى الفاضل

---

(١) الضوء اللامع للسخاوي: ١٧٨/٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة:٦٧٠/١ ، ٦٧١ ، كشف الظنون لحاجي خليفة : ١٣٤٨ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ ، الأعلام لخير الدين الزركلي: ٣٠٦/٢ .

(٢) الشقائق النعمانية في تراجم علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده: ٥٥ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوى : ٧٠ .

(٣) الشقائق النعمانية :٥٥ ، وانظر أيضا تاريخ الأدب العربي : ٣٧٨/٧ .

(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ٧٠ .

(٥) ترجمته في كل من الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ١٠٦-١٠٨ ، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي: ٣٥١/٧ ، ٣٥٢ ، الفوائد البهية للكنوي: ٢٢٨ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ٨٩٤ ، ١٨٩٣ ، ١٨١٩ ، ٢٠٣٧ ، هدية العارفين للبغدادي: ٥٦٢/٢ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٥٨/٤ . له حاشية على شرح المواقف للسيدالشريف ، ونسختها المخطوطة محفوظة في مكتبة الغازي خسرو بيك في سرايفو انظر KATALOG ARAPSKIH TURSKIH PERZIJSKI IBOSANSKIH RUKOPISA: ٤٤٦/١ .

(٦) ترجمته في الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده : ١٠٩ وشذرات الذهب : ٣٥٢/٧ . له حاشية على صدر الشريعة وقاية الرواية في مسائل الهداية ونسختها المخطوطة محفوظة في مكتبة الغازي خسرو بيك في سرايفو . انظر المرجع السابق: ١٤٩/٧ ، ١٥٠ .

«أحمد باشا بن خضر بيك»[1] وكلهم كانوا أصحاب فضل وعلم ورياسة على منهج والدهم رحمهم الله .

٣- المولى العالم الفاضل «برهان الدين حيدر بن محمود الخوافي» كان رحمه الله من تلامذة المولى «سعد الدين التفتازاني» وقد ترجم له ـ أي للبرهان الخوافي ـ طاش كبرى زاده في الشقائق[2] .

هذا ولم أجد أحدا غير السخاوى[3] ـ فيما أعلم ـ يذكره فى قائمة أستاذه المولى «خضر بيك» وقد ترجم له طاش كبرى زاده كما قلنا آنفا ، ولم يذكر أن المولى «خضر بك» تتلمذ عليه . وعدم ذكره هذا فى ترجمة «البرهان حيدر الخوافى» ولا فى ترجمة المولى «خضر بك» يجعل السخاوى هنا منفردا بما قاله .

٤- المولى الفاضل «شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري» وترجمته مستوفاة في الشقائق[4] دون الإشارة إلى أنه كان أستاذا لـ«خضر بك» ، وقد انفرد «السخاوي»[5] كذلك في ذكر أنه كان أستاذا للمولى «خضر بيك» . هذا وإن «الفناري» رحمه الله كان من أساتذة المولى «يكان»[6] الذي تتلمذ عليه المولى «خضر بيك» وتخرج عنده كما قلنا سابقا ، وعلى هذا يكون «الفناري» أستاذا لأستاذ المولى «خضر بيك» ولايكون أستاذه المباشر والله أعلم .

٥- يعقوب القرماني وهذا أيضا لم نجد له ذكرا إلا عند «السخاوي»[7] ، ولعله هو المترجم له في الشقائق[8] بإسم «يعقوب الأصغر القراماني» ولم يشر هناك إلى أنه أستاذ للمولى «خضر بيك» كذلك .

---

(١) ترجم له طاش كبرى زاده في الشقائق: ١٠٩ .
(٢) الشقائق النعمانية: ٣٧ ، ٣٨ .
(٣) الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي : ١٧٨/٣ .
(٤) الشقائق النعمانية: ١٦ ـ ٢١ .
(٥) الضوء اللامع للسخاوي: ١٧٨/٣ .
(٦) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٤٨ .
(٧) الضوء اللامع للسخاوي: ١٧٨/٣ .
(٨) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٣٩ .

المبحث الرابع

تلامذته

١- المولى الفاضل «مصلح الدين مصطفى القسطلاني»[١] . وكان متبحرا في جميع العلوم جلائلها ودقائقها وله مؤلفات قيمة ؛ منها حواشيه على شرح السعد للعقائد النسفية وهي المعروفة بـ«حاشية الكستلي»[٢] . وكان وفاته رحمه الله سنة ٩٠١ هـ ، ودفن بجوار الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه بمدينة «قسطنطينية» .

٢ـ المولى «علاء الدين علي العربي» كان أصله من نواحي «حلب» قرأ أولا على علمائها ، ثم قدم بلاد الروم وقرأ على علمائها ، ووصل إلى خدمة المولى «خضر بيك» وحصل عنده علوما كثيرة ، ثم صار نائبا عنه بـ«أدرنة» بمدرسة «دار الحديث» ، وصنف هناك «حواشي شرح العقائد» . واشتغل أيضا بطريقة التصوف فجمع بين رئاستي العلم والعمل ، ويحكى عنه كرامات . ولم يذكر طاش كبرى زاده تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته حين ترجم له في الشقائق النعمانية[٣] .

٣- المولى «مصلح الدين مصطفى بن يوسف بن صالح البروسوي الشهير بالمولى «خواجه زاده» ، تتلمذ على المولى «خضر بيك» وهو مدرس بسلطانية «بروسا» ، ثم صار معيدا لدرسه . وحصل عنده علوما كثيرة وكان المولى «خضر بيك» يكرمه إكراما عظيما . وله كتاب «التهافت» .

ووراء تأليف هذا الكتاب قصة تتمثل فيما يلي : هي أن السلطان «الفاتح محمد خان» أمر المولى «علاء الدين علي الطوسي» والمولى «خواجه زاده» أن يصنفا كتابا للمحاكمة بين تهافت «الإمام الغزالي» رحمه الله والفلاسفة ، فكتبه المولى «خواجه زاده» وأتمه في أربعة أشهر ، وكتب المولى «الطوسي» في ستة

---

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده : ٥٦ ، ٨٧ - ٨٩ .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة: ١١٤٥ وانظر أيضا الشقائق النعمانية : ٨٩ .

(٣) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٩٢ - ٩٥ .

أشهر . وفضلوا كتاب المولى «خواجه زاده» على كتاب المولى «الطوسي» ، وأعطى السلطان «محمد خان» لكل واحد منهما عشرة آلاف درهم ، وزاد «خواجه زاده» خلعة نفيسة[1] .

وكان يقول «مانظرت في كتاب أحد بعد تصانيف حضرة الشريف ــ يعني السيد الشريف الجرجاني رحمه الله ــ بنية الاستفادة» . وكان لايتكلم بلا مطالعة أصلا . وبالجملة مناقبه كثيرة ، وقد أطنب المولى «طاش كبرى» زاده في وصفه ومدحه وقد خصص لترجمته عشر صفحات في شقائقه النعمانية ؛ وقال إنه رحمه الله توفى بمدينة «بروسة» وهو مفتي بها في سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة ، ودفن بجوار السيد البخاري قدس سره العزيز[2] .

٤-«شمس الدين أحمد بن موسى» الشهير بـ«الخيالي» وتأتي ترجمته مستوفاة إن شاء الله[3] ، وهو قصد البحث ومحط الرحل .

٥ــ ومن تلامذة المولى «خضر بك» المولى «محمد بن الحاج حسن» . وهناك أيضا علماء كثيرون تتلمذوا عليه واستفادوا منه ووصلوا إلى خدمته . منهم المولى«محي الدين محمد» الشهير بابن الخطيب ، والمولى « إياس »الذى كان معلما للسلطان «محمد خان»، والمولى الفاضل«خواجة خير الدين» وكان هو أيضا معلما للسلطان محمد خان ، والمولى «قاسم» الشهير بـ«قاضى زادة» وغيرهم[4] .

ولا غرو إنه كان لا يصرف أوقاته إلا فى العلم والعبادة ، وكان يهتم بتربية القارئين عليه على حد تعبير «طاش كبرى زاده» ، وهذا واضح جدا من تلك القصيدة التى أرسلها المولى إلى السلطان وفى آخرها :

ألا أيها السلطان نظمي عجالة ليلة أو ليلتين
مع الأشغال فى أيام درسي وما فارقت شغلى ساعتين[5]

---

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٦١ وكشف الظنون لحاجي خليفة: ٥١٣ .

(٢) الشقائق النعمانية: ٧٦-٨٥ وكشف الظنون: ٣٩ .

(٣) المرجع السابق: ٨٥-٨٧ ، الفوائد البهية للكنوى : ٤٣، شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي: ٣٤٤/٧ ، والبدر الطالع للشوكاني: ١٢١/١ ، ١٢٢ .

(٤) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية لطاش كبرى زاده: ٩٠، ١٠٤، ١٠٥، ١١٦، ١١٩.

(٥) المرجع السابق : ٥٨ ، والأعلام للزركلي :٢/ ٣٠٦ .

المبحث الخامس

مؤلفاته

لم يكن المولى «خضر بيك» من المكثرين للتأليف ولم يذكر لنا المترجمون له إلا أربعة كتب أتحدث عنها فيما يلي :

١- حواشيه على حاشية الكشاف للعلامة سعد الدين التفتازاني وقد أشار إلى نسبة هذا الكتاب إلى «خضر بيك» كل من السخاوي والزركلي وعمر رضا كحالة[١]. ولم أعثر على نسخة من هذه الحاشية في مكتباتنا رغم البحث والتنقيب .

٢- أرجوزة في العروض أشار إليها كل من سبق [٢] . ولم أستطع الوصول إلى نسخة منها في المكتبات .

٣- القصيدة النونية المسماة بـ«جواهر العقائد» . هذه هي التي يدور حول أحد شروحها وتحقيقه هذا البحث المتواضع وقد نسبها إلى المولى «خضر بيك» كل من ترجموا له فيما أعلم[٣] . وورد ذكرها عند بروكلمان كما يلي: «النونية في

---

(١) الضوء اللامع للسخاوي : ١٧٨/٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٦٧١/١ ، والأعلام لخير الدين الزركلي : ٣٠٦/٢ .

(٢) المراجع السابقة الصفحات السابقة نفسها .

(٣) الشقائق النعمانية: ٥٧ ، كشف الظنون: ١٣٤٨ ، الضوء اللامع: ١٧٨/٣ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ٧٠ ، هدية العارفين للبغدادي ٣٤٦/١ ، الأعلام: ٣٠٦/٢ ، معجم المؤلفين: ١/ ٦٧١ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣٧٨/٧ .

العقائد ، منظومة من بحر البسيط تضم ١٠٣ أبيات (أو ١٠٥)[١] وتوجد في مخطوطات برلين ٢٠٠١ ، بطرسبرج ٢/٢٣٩، جاريت ١٤/٢٠١١ ، سرايفو ٩/١٥٧، الإسكندرية توحيد ١٤ ، ليبزج ١٨/٨٨٣ ، بريل أول ٩٤٣/١ ثان ١١٤٣ ، القاهرة ثان ٢٠٢/١ ، وطبع في مجموعة في إستانبول عام ١٣١٨ هـ وطبع مع شرح الشيخ داود عليه بالقاهرة عام ١٢٩٧ هـ وبالآستانة ١٣١٨ هـ »[٢] .

ووجدتها أيضا مطبوعة مع شرحٍ للشيخ عثمان بن عبد الله الكليسي الشهير بـ« العرياني» عليه بالآستانة عام ١٣٠١ هـ .

٤- قصيدة نونية أخرى وسماها عجالة ليلة أو ليلتين ومطلعها هكذا :

لقد زاد الهوى في البعد بيني وبين أبين بعد المشرقين

وإنما سميت القصيدة « عجالة ليلة أو ليلتين» لقوله في آخرها:

ألا أيها السلطان نظمي عجالة ليلة أو ليلتين

---

(١) هناك اختلاف يسير في عدد أبيات القصيدة النونية ، وهو في نسخ شرح الخيالي الخطية التي اعتمدت عليها ١٠١ ، بينما هو في شرح الشيخ عثمان الكليسي ١٠٤ أبيات بزيادة الأبيات الثلاثة التالية في آخر القصيدة :

وكلهم بذلوا للدين مهجتهم وللشريعة كانوا خير معوان

يا رب لا تسلبني حبهم أبدا من قال آمين يأمن سلب إيمان

ودام نصرة من بالخير يذكرني ما اخضر وجه الربا من قطر نيسان

وفي شرح الشيخ داود القرصي يبلغ عددها إلى ١٠٥ حيث فيه الزيادة الواردة في شرح الشيخ عثمان وزيادة بيت آخر وهو :

لا ينبغي الشك في الإيمان من أحد وإن نوى منجيا في يوم هجران

ويقع هذا بعد قول الناظم:

قد يخطئ المرء في فتواه مجتهدا كحكم داود مع فتيا سليمان

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٨/٧ ، ٣٧٩ .

مع الأشغال في أيام درســي وما فارقت شغلي ساعتين[1].

ولقد أعياني البحث فلم أستطع العثور كذلك على نسخة منها . ولعلها أيضا من عداد المفقود ، والله أعلم .

٥- حاشية على شرح تجريد العقائد ، انفرد بذكرها البغدادي ـ في هدية العارفين (٣٤٦/١) ـ من بين المترجمين الذين تتبعت كتبهم .

وبعد فهذه هي آثار المولى «خضر بيك» من التأليف حسب ما أشار إليه المؤرخون الذين تتبعت كتبهم فيما يتعلق بترجمة المولى خضر بك .

* * *

المبحث السادس

قصيدته النونية (جواهر العقائد)

هو كتاب منظوم للمولى خضر بيك يعرف أيضا بالقصيدة النونية أو النونية في العقائد وهي منظومة من بحر البسيط تضم ١٠٣ أبيات (أو ١٠٥) [2] . وهي مع صغر حجمه قد حازت أمهات المسائل الكلامية مع الإشارة إلى الحجج والبراهين[3].

وهذه القصيدة منسوجة على مذهب الماتريدية [4] ؛ أحد جناحي أهل السنة والجماعة وهي تبدأ بـ«الحمد لله عالي الوصف والشان ؛ منزه الحكم عن آثار

---

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٥٨ وانظر أيضا الأعلام : ٣٠٦/٢ ، وشرح الشيخ داود ابن محمد القوصي على القصيدة النونية: ١ . ثم إن المولى «طاش كبرى زاده» أورد في الشقائق نظما آخر من نوع المستزاد وينسبه إلى المولى «خضر بيك» . وهو يشتمل على أربعة عشر بيتا وموضوعه أقرب ما يكون إلى الابتهال والدعاء ، ويمكن الرجوع إلى الشقائق لمن أراد الاطلاع عليه .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ٣٧٨/٧ .

(٣) خير القلائد شرح جواهر العقائد للشيخ عثمان الكليي : ٣ ، الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي : ٧ .

(٤) شرح الحافظ الكبير على القصيدة النونية: مخطوطة الأزهر ورقة ٢ .

بطلان» وتشتمل على معظم المباحث الكلامية من الإلهيات والنبوات والسمعيات والإمامة ، مُرَتَّبَةً جيدا حسب ترتيب المباحث الكلامية .

وقد قيل في سبب تأليف هذا الكتاب: إن السلطان «محمد الفاتح» لما اتخذ المولى «خضر بك» أستاذا لنفسه دبت الغيرة والحسد في قلوب البعض بالقسطنطينية، فقالوا للفاتح في حقه ما قالوا ، فلما رأى منهم التعصب عليه طلب من السلطان الهجرة إلى شهر «بروسة» لأجل تدريس العلوم سالما عن طعن هؤلاء الخصوم ما أمكن ، وبعد إلحاح كثير أذن له فهاجر إليها .

واشتغل بالتدريس ، ولم يزل الفاتح رحمه الله يطنب في مدح أستاذه عند العلماء . فلكثرة غيرتهم طلبوا من الفاتح أن يأمر أستاذه بتأليف كتاب يعلم به كماله ولياقته لمدحه . فكتب الفاتح رحمه الله لأستاذه ، يرجو منه ما طلبوه منه . فألف هذه القصيدة وأرسلها إليه ، ومعها هذه الأبيات :

لقد زاد الهوى في البعد بيني ... وبعد البين بعد المشرقين

ألا أيها السلطان نظمي ... عجالة ليلة أو ليلتين

مع الأشغال في أيام درسي ... وما فارقت درسي ساعتين

فعرض الفاتح القصيدة مع المكتوب على هؤلاء ــ وفي الشقائق أنه عرضها على المولى الكوراني ــ فقالوا : قد أخطأ أستاذك في محل من القصيدة وفي محل من المكتوب ، لأنه استعمل كلمة «الزيادة» في الموضعين متعديا ، مع أنها لازمة . أحدهما «لقد زاد الهوى . . .» وثانيهما «فلن يزيد يزيد منه مفسدة» .

فأمر السلطان أن يكتب الاعتراض على ظهر القصيدة . وأرسله إلى المولى خضر بيك طالبا للجواب . فكتب إليه المصنف رحمه الله مشيرا إلى الجواب بقوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ﴾ (البقرة: ١٠) ، اقتباسا منه وتعريضا لهم بأن كلمة «زاد» قد عديت إلى مفعولين هنا [1] .

---

(١) انظر ما ورد في الصفحة الأولى من كتاب شرح الشيخ داود بن محمد القرصي على القصيدة النونية وقارنه أيضا بما ورد في الشقائق النعمانية: ٥٧ ، ٥٨ .

وتوجد لهذه القصيدة نسخ مخطوطة في المكتبات العالمية الكبرى . ولقد طبعت أيضا في أماكن مختلفة عدة مرات ، ونقلنا فيما سبق ما ورد في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان من الإشارة إلى تلك المكتبات والمطابع .

هذا وإن كانت هذه القصيدة صغيرة في حجمها إلا أنها من أهم الكتب الكلامية على مذهب الماتريدية . فلها قدرها ومكانتها عند علماء أهل السنة والجماعة كما أن صاحبها من أعلام المذهب الماتريدي ، ومن علماء المذهب الحنفي في القرن التاسع الهجري ؛ لعب دورا كبيرا في تثبيت عقيدة أهل السنة والجماعة بتأليف الكتب وتخريج العلماء وتربية النشأ الجديد .

ولعل المولى خضر بك قد ألف هذه العقيدة بأسلوب النظم وبطريقة ميسرة لنفس الهدف الذي يتمثل في تقريب عقائد الإسلام إلى أفهام العوام . وليس هو بدعا في ذلك ، بل هذه طريقة علمائنا الأجلاء في القرون الماضية وستظل تستمر عليها طائفة من هذه الأمة حتى يأتي أمر الله .

وهكذا جاءت القصيدة النونية مقبولة لدى العوام كما أنها مرضية لدى الخواص حتى خدمها كثير من العلماء بالشرح والتوضيح ، وعليها الشروح الآتية :

١- شرح المولى شمس الدين أحمد بن موسى الخيالي (وهو الذي تصدينا لخدمته) .

٢- شرح المولى كمال الدين قره كمال المتوفى عام ٩٢٠ هـ .

٣- شرح الشيخ محمد حميد الكفوي المتوفى عام ١١١٦ هـ .

٤- شرح الشيخ على بن عبد الحكيم .

٥- شرح الشيخ شجاع الدين .

٦- شرح الشيخ عبد الله بن محمد يوسف أفندي زاده .

٧- شرح قول أحمد .

٨- شرح الشيخ داود بن محمد انفارضي (القارصي) المتوفى ١١٦٩ هـ .

٩- شرح الشيخ عبد الجليل البغدادي .

١٠- شرح الشيخ عثمان بن عبد الله الكليسي العرياني المسمى بخير القلائد شرح جواهر العقائد المتوفى عام ١١٨٦ هـ .

١١- شرح لمؤلف مجهول في جامع الزيتون بتونس .

١٢- شرح الشيخ محمد نافع بن أحمد بن محمد القازابآدي .

١٣- شرح الحافظ الكبير محمد بن الحاج حسن .

١٤- شرح حافظ الدين محمد أمين بن تقي الدين[١] .

١٥- شرح الشيخ إسماعيل حقي بن . . . عبد الله المناستري الرومي نزيل القسطنطينية المتوفى عام ١٣٣٠هـ/١٩١٢م - المسمى بـ « إيضاحات القصيدة النونية »[٢].

١٦- شرح الشيخ محمد عصمت بن إبراهيم الرومي الحنفي المدرس النقشبندي المعروف بحاجي خليفة المتوفى عام ١١٦٠هـ/١٧٤٦م - المسمى بـ« رقد النضر على عقائد الخضر »[٣] .

١٧- شرح الشيخ إبراهيم عصمت بن إسماعيل رائف باشا الرومي الحنفي ، نقيب الأشراف المتوفى عام ١٢٢٢ هـ/١٨٠٧ م[٤] .

١٨- شرح الشيخ محمد طاهر بن محمد بن أحمد الإستانبولي ، الحنفي ، المتكلم ، الصوفي ، الأديب ، الشهير بلاله رازي المتوفى عام ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م . المسمى بـ« الجواهر القلمية في تسطير أسرار النونية » .

---

(١) هذه القائمة - التي تضم أربعة عشر شرحا - هي ما أورده بروكلمان في تاريخ الأدب العربي ويمكن الرجوع إليه أيضا للتعرف على أماكن وجود نسخها المخطوطة: ٣٧٨/٧-٣٨٠ . هذا وقد ورد في قائمة بروكلمان اسم الشيخ محمد أمين بن محمد الإسكداري ، وتبين لي بعد البحث أنه ليس شارحا للقصيدة النونية ؛ بل هو ممن كتب حاشية على شرح الخيالي على القصيدة النونية ، ولذا حذفته من هذه القائمة ، وسوف يأتي الحديث عنه حينما نتعرض لحواشي شرح الخيالي على النونية . لمزيد من البحث ينظر كشف الظنون لحاجي خليفة:١٣٤٨ ، هدية العارفين للبغدادي: ٢٣٤/٢ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ١٤٦/٣ .

(٢) انظر هدية العارفين للبغدادي: ٢٢٢/١ ، ٢٢٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٣٦٢/١ .

(٣) انظر هدية العارفين للبغدادي: ٣٢٦/٢ .

(٤) المرجع السابق: ٤٢/١ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ٤٣/١ .

ومن المأكد ـ في ضوء البحث والدراسة ـ أنه لم تستوعب قائمة بروكلمان ـ الذي وجدته أحسن من جمع شروح النونية ـ جميعَ شروح النونية ؛ بل هناك ما لم يرد ذكره فيها . وخير دليل على ذلك أني قد عثرت في دار الكتب المصرية على شرح للنونية لم يذكره بروكلمان في قائمته . ووجدت البغدادي (إيضاح المكنون : ٣٧٨/١ ، هدية العارفين : ٣٤٦/٢) وصاحب معجم المؤلفين (٣٦٦/٣) قد ذكراه حينما ترجما للاله رازي . وهذا الشرح هو الذي أضفته إلى القائمة برقم ١٨ . وفرغ شارحه ـ لاله رازي ـ من تأليفه عام ١١٩٦هـ . وهو يقع في ٢٨ ورقة . وهو محفوظ في الدار تحت رقم « ٧٢٤ » مخطوطة علم الكلام .

* * *

المبحث السابع

وفاته

يرى معظم المؤرخين أن المولى خضر بيك ـ رحمه الله وأسكنه فسيح جنته ـ توفى في عام ٨٦٣ هـ/١٤٥٩ م[١]. وقيل إن وفاته كانت في عام ٨٦٠ هـ/١٤٥٦م[٢]. وكانت وفاته في « القسطنطينية » عاصمة الدولة العثمانية آنذاك ، ودفن رحمه الله بجوار الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه [٣] . وهكذا كان أفول نجم من سماء العلم والفكر ، بعد حياة عامرة بالعلم والعمل ، فترك بفراقه فراغا في تاريخ الإسلام هيهات أن يملأه أحد سواه ، فجزاه الله عن الإسلام خيرا على ما قدمه للأمة الإسلامية من خدمات ؛ ونفعنا الله به وبعلومه في الدارين آمين .

---

(١) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٥٧ ، كشف الظنون لحاجي خليفة: ١٣٤٨ ، الفوائد البهية لأبي الحسنات اللكنوي: ٧٠ ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان : ٣٧٨/٧ ، هدية العارفين للبغدادي: ٣٤٦/١ ، الأعلام للزركلي : ٣٠٦/٢ .

(٢) انظر الضوء اللامع للسخاوي :١٧٨/٣ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٦٧٠/١ .

(٣) الشقائق النعمانية لطاش كبرى زاده: ٥٧ والفوائد البهية للكنوى : ٧٠ .